

المجلد: 07 / العدد: 01 / جوان (2023)، ص. 35/25

أزمة الهوية: بين إشكالية المصطلح وأطروحات التطبيق

## Identity crisis: between the problematic of the term and the theses of application

زهير دحمور

[zouheyd@gmail.com](mailto:zouheyd@gmail.com)

جامعة الجزائر 02 (أبو القاسم سعد الله)

(الجزائر)

تاريخ النشر: 2023/06/02

تاريخ القبول: 2023/01/25

تاريخ الاستلام: 2022/11/16

### ملخص:

تكمن أهمية قضية ما في خبايا كمون الأزمة الفكرية من حيثية النظرة الذاتية والجماعية إلى تلك القضية نفسها، ويمكن الإشكال حول مسألة الهوية في نفس نهج التفكير بكل أبعاده داخل الأزمة الفكرية التي خلقت صراعا للأفكار حول مفهوم الهوية وديناميكية واقعه التاريخي. ولا عجب أن الصراع الفكري حول هذه القضية يؤسس لمدارس مختلفة من الحيثية الدراسية لها، لنصل إلى الأهمية القصوى للقضية نفسها لأنها محل نزاع هدفه إما التصحيح أو الإلغاء أو عبارة أخرى، إما الحفاظ على الهويات أو صناعة هويات موجهة. كلمات مفتاحية: الهوية، العولمة، الحداثة، الهيمنة، الآخر.

### Abstract:

The importance of the issue lies in the secrets of the intellectual crisis in terms of the subjective and collective view of that same issue, and the problem on the question of identity lies in the same approach of thinking in all its dimensions within the intellectual crisis that created a conflict of ideas about the concept of identity and the dynamics of its historical reality.

It is no wonder that the intellectual struggle on this issue establishes different schools from the school's point of view, to reach the paramount importance of the issue itself because it is the subject of a dispute aimed at either correction or abolition or, in other words, the preservation of identities or oriented identities.

**Keywords:** Identity, Globalization, Modernity, Hegemony, the Other.

### تمهيد:

شكل مفهوم الهوية هاجسا لدى العديد من المفكرين عبر التاريخ من الفكر اليوناني القديم إلى غاية أيامنا، ولم يعد بالإمكان إعطاء تعريف شامل جامع مانع ولا حتى إعطاء سمات لضبط المفهوم، وبالتالي يمكن تفسير هذا التعدد المفاهيمي من الزاوية التي يركز عليها كل فكر أو علم في تعريفه لهذا المصطلح، وهو ما يشكل تقاربا بينها في حين وتعارضاً في أحيان كثيرة، شأنها في هذا شأن العديد من القضايا الفكرية التي دخلت حيزا دياكتيكيا تتضارب فيه الرؤى والإيديولوجيات بمختلف وسائلها وغاياتها، في ظل هذا الجدل الثقافي هل للهوية مكان في الواقع أم أنها مجرد وهم ميتافيزيقي يوحى بالتصنيف؟ كيف تتعامل المعطيات والمقومات الهوية مع العولمة؟ ألا يمكن اعتبار الحداثة

والعولمة تفكيكا للهوية (الهامش) وإعادة بناء وتوطيد للهوية (المركز) بغض النظر إلى ماهيتها عند المؤكدين وجودها أو المنكرين لها؟

نحاول في هذه القراءة أن نلقي الضوء على جانب من التنظير المفاهيمي للهوية عامة والهوية العربية وأزمتها عبر محطات من التاريخ العربي، ولهذا نستعمل بما أنتجته السردية العربية في تصوير مفهوم هذا المصطلح.

#### مفهوم الهوية:

جاء في تعريفات الجرجاني أن الهوية هي: "الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتغال النواة على الشجرة في الغيب المطلق"<sup>1</sup>، وهو إلى حد ما مشتق من الهو الذي عرفه بكونه الغيب "الذي لا يصح شهوده للغير كغيب الهوية المعبر عنه كنهياً باللاتين وهو أبطن البواطن"<sup>2</sup>، وهو بذلك التعريف يعبر عن الحقيقة الجوهرية التي يمثل الذات صورة عنها قد لا يمكن تحديدها، والجرجاني بهذا ينزع إلى المثالية الأفلاطونية التي ترى أن العالم مجرد صور عن عالم المثل الذي يمثل حقيقة الأشياء، وهذا طبيعي مقارنة بموضة فكر العصور الإسلامية الأولى، حيث كان لأفلاطون Plato أتباع في العالم الإسلامي يفسرون العالم بخلفيته المثالية على عكس ما نراه فيما بعد عند ابن رشد والمدرسة الأوربية التي كان للأرسطية الكلاسيكية والمحدثات الباع الأطول فيها.

تعددت مفاهيم الهوية بحسب تعدد محدوداتها وأسسها الواصفة لماهيتها حسب كل اتجاه فكري، فزعم محدودي الهوية بأن هناك أوجه شبه بين أفراد المجتمع الواحد تميزهم عن أفراد مجتمع آخر، وبالتالي فإن الهوية هي نتيجة رصد لأوجه شبه وأوجه اختلاف بين المجتمعات، ومنه نخلص إلى كون مصطلح الهوية لا يخرج عن هذه الجدلية الصانعة لذلك المفهوم، وقد "عرفت كل العصور أشخاصاً اعتبروا أن هناك انتماء سياسياً يسمو على الانتماءات الأخرى كافة مهما كانت الظروف، يمكننا أن ندعوه بصورة مشروعة (هوية)، وهو الأمة بالنسبة لبعضهم والدين أو الطبقة بالنسبة لبعضهم الآخر"<sup>3</sup>، لكن -والى هنا- فالعديد لا يفرق بين الهوية ومقومات الهوية على رغم البون الظاهر بين السبب والمسبب.

هناك الكثير من المفكرين -على عكس أنصار مفهوم الهوية- اعتبروا أن لا أساس للهوية في الواقع، لأن الواقع مبني على الاختلاف، واتخذوا بذلك مذهباً فردانياً في تحديد الهوية، فهوية المرء هي التي تعني أنه لا يشبه أي شخص آخر<sup>4</sup>، وأن التشابه وهم، وهي توجي بشيء من التعالي ومدعاة نرجسية وفخر بالانتماء لا أساس له في الواقع أو الوجود.

صحيح جداً وصف أنصار الهوية إذا قرأنا خطاباً لفichte بعنوانه بـ "الفروق الرئيسية التي تفضل الألمان عن بقية الشعوب من منشأ جرمانى" يقول: "إن الوسيلة التي اقترحت في هذه الخطابات لخلق جيل جديد يجب أن يطبقها ألمان على ألمان قبل كل شيء، وتلك مهمة تقع أساساً على عاتق أمتنا، لكن هذا بحاجة إلى دليل ولسوف نبداً، كما فعلنا حتى الآن بما هو أعلى وأعم، فنبين ما هو الألماني بذاته، مستقلاً عن القدر الذي حاق به، ما هو وما كان دائماً طبعه الأصلي، فنبرز أن هذا الطبع الأصلي يتضمن عناصر مثل هذه الثقافة التي لا تمتلكها الشعوب الأوربية الأخرى، بل ولا قابلية تلقيها"<sup>5</sup>، إذ أن طبيعة الثقافة أو نوعها فاصل منطقي بين شعب وآخر، وتقبل ثقافة ما عند فئة معينة ليس بالضرورة تقبلها عند غيرها، وبذلك فتعدد الثقافات دليل على تعدد الهويات، وبالتالي فوجود الهوية وجود حتمي يفرضه وجود الاختلاف.

إذا فالهوية تتحدد بحضور الآخر، ولا يمكن أن توجد إلا بوجوده، وهي بذلك تعبر عن أبرز سمة اختلاف بين طرفين تكون في الغالب محور صراع، ولهذا نجد أن محددي الهوية لا يقف على سمة واحدة؛ ويحاول الجابري إعطاء مفهوم للهوية فيقرنه بالحالة الشعورية نحو الانتماء فيرى "أن يكون الإنسان عربياً هو أن يشعر بأنه عربي فعلاً عندما يتعرض شعب أو فرد عربي لعدوان أجنبي، وهذا الشعور الذي يهيمن في أوقات الأزمات لا يتناقض مع النزوع نحو الوحدة العربية الذي حددنا به هوية (العربي)... بل إن هذا النزوع ليس شيئاً آخر سوى التعبير الإيجابي عن ذلك الشعور خارج أوقات الأزمات، وهل الهوية شيء آخر غير رد الفعل ضد (الآخر) ونزوع حالم لتأكيد (الأننا) بصورة أقوى وأرحم"<sup>6</sup>، وبالتالي فللأزمة دور كبير في إبراز مقومات الهوية مباشرة مع لحظة التصادم مع الآخر؛ فالنزوع العربي إلى القومية العربية صنعه ظرف الآخر المناادي بالحملة الاستعمارية العرقية، ومحاولة بناء دولة ذات قومية (إسرائيلية) هو

ما استدعى الدفاع عن شرعية (عروبة فلسطين)، وبهذا فالتوجه الشعبي نحو العروبة وإن كانت تحكمه حتمية تاريخية يجسدها صراع أبناء العمومة (العرب واليهود) على مر التاريخ فهي إلى جانب ذلك آلية من آليات الدفاع الذاتي التي رأتها الشعوب أنها الأقوى والأبرز، ولذا كان غالبا ما يسمع بشعار (فلسطين عربية) دون أن نسمع أي محاولة تفكير في كون فلسطين إسلامية لأن اسم إسرائيل يوحي إلى عرق (العرق السامي) أكثر مما يوحي إلى دين، فاليهود طالما اعتبروا الأرض كنعانية ولم يعتبروها يهودية وبهذا فإنه من المرجح مع بروز صراع الحضارات -والذي في كثير من الأحيان يوحي إلى صراع أديان- أنه ستنتزع الشعارات إلى المناداة بإسلامية فلسطين، وهذا المحدد للهوية الفلسطينية يصنعه بلا شك (آخر) ينفي إسلامية الأرض، وأنه "من الطبيعي أن تنعكس هذه الأزمة على الفكر ويصبح مأزق الوجود العربي مجسدا فيما يطرح في بعض الدراسات والندوات والمقالات؛ بحيث يمكن أن نطلق على الكثير من ثمار الفكر المتضمن في هذه المطبوعات فكر الأزمة"<sup>7</sup>، وهو الذي يحاول أن يرسم -موازاة مع شعور الشعوب والمجتمعات- معالم الهوية؛ ولهذا لم يتحدد مفهوم العروبة من خلال علاقته بالإسلام لا كدين ولا كحضارة بقدر ما حددته علاقته مع (الآخر)<sup>8</sup>، وبذلك ف (الآخر) مهم لتحديد ماهية هوية (الأنا) بناء على تصور شكل الاختلاف الذي رسمه ذلك (الآخر).

تتقاطع مسألة الهوية مع الثقافة بمعناها التايلوري الواسع لكون الأخيرة محددا أساسيا في تكوينها، وبالتالي فالاختلاف الثقافي من أول السمات الراسمة لحدود الهوية وإن كانت الثقافة تتخصص ويضيق مستوى موسوعيتها، ولهذا ف"المعرفة العلمية التجريبية هي في نظر الهندوسي وهمية إزاء حقيقة الوجود اللامشروط (براهمان)، مثلما هي وهمية ملكة المخيلة السحرية في نظر عقلاني ديكارتي"<sup>9</sup>، ومقومات الثقافة في أصلها تتحدد وفق المعتقد الذي يصنع هو الآخر مناهج التفكير وسبل الإيمان بالشيء هذا والتكذيب بذلك والكفر بالأشياء أخرى.

#### تقد مفهوم الهوية:

سبق ونوهنا إلى أن الهوية -كمصطلح- تتمزق بين مؤيد لها ومعارض بل لا يتكفي معارضوها في بعض الأحيان -بمجرد سرد أدلة على ذلك، وإنما يتعدى ذلك إلى إعطاء أحكام قيمة في أغلبها لا تخلو من كونهادوغمائية، يعبر أمين معلوف عن موقفه من الهوية فيقول: "لقد علمتني حياة الكتابة أن أرتاب بالكلمات، فأكثرها شفافية غالبا ما يكون أكثرها خيانة، وإحدى هذه الكلمات المضللة هي كلمة (هوية) تحديدا، فنحن جميعا نعتقد أننا ندرك دلالتها ونستمر في الوثوق بها، وإن راحت تعني نقيضها بصورة خبيثة"<sup>10</sup>. لكننا إن نظرنا إلى تاريخ الفلسفة فإننا لا نجد حقبة فلسفية تعارض الهوية أو تؤيدها بشكل عام، بل إنه في كل زمن نجد جماعتين متجادلين حول هذه المسألة التي لن يبرأ منها زمن.

منذ سقراط ومرورا بالأرسطية وإلى غاية ديكارت بقيت الفلسفة معتقدة أن الإنسان مركز ومحور بحث، وكان للعقلانية الديكارتية دور مهم في إعطاء شيء من التقديس للذاتية خصوصا مع مبدأ الكوجيتو Cogito الذي يقول فيه ديكارت Descartes: "أنا أفكر إذا أنا موجود"، ولكن ومع بزوغ الفكر الحدائي انتقلت الفلسفة من مركزية الإنسان إلى مركزية المادية؛ وذلك للنظرة الحدائية القائلة بشمولية النسبية بما في ذلك الأخلاق؛ فحيث لا تكون هناك حقيقة مطلقة، لا تكون هناك أخلاق، وما الأخلاق إلا صورة انعكاسية لتصورات دوغمائية قصرت من حرية المرء، وبالتالي فالميتافيزيقا خرافة اخترعها الإنسان ورسم لها صورة مهولة لا تعبر بالضرورة عن الحقيقة، وعليه فإننا نلاحظ أن التجريبية ثورة مادية على العقلانية، حاول أن يصور روادها -الأنكليز بالدرجة الأولى- أن تفسير العالم لا يتسنى إلا من خلال جعل المادة عينية للدراسة، وعودة الإنسان إلى المادة هو في أصله عودة إلى الأصل الذي يفترض عدم الخروج عليه وهذه هي الحقيقة التي لا تشبهها خرافات الميتافيزيقا.

إن اتباع المنهج التجريبي في تفسير قضايا أوظولوجية أو إستيمولوجية يوحي باحتواء الهوية على شيء من الميتافيزيقا، وبالتالي فإن إحصاء التشابه بين أقوام وإقصاء أفراد آخرين من التصنيف وهم، ولا دليل علمي يقضي بذلك إلا إذا استثنينا الحقبة التي تحول فيها العلم إلى إيديولوجيا، وهي المرحلة التي يمكن أن نؤرخها بظهور الداروينية بغية شرعنة السعي الإمبريالي واستغلال الإنسان لأخيه الإنسان.

وعودة إلى النزعة الإنسانية فإنه - حقيقة - لم يكن أنصارها معصومين من الخطأ فإلى جانب تقديرهم للجيد من فلسفة القدماء: أفلاطون، وأرسطو، والرواقيين، والأبيقوريين، إلا أنهم تأثروا كثيرا بنظام العد الفيثاغوري، وشطحات

الصوفية لدى الأفلاطونيين المحدثين وسحر الكابالا Cabala، ومارسوا السحر وبحثوا عن إكسير الحياة وحجر الفلاسفة وتحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب، وهو الأمر الذي تخلص منه عصر التنوير<sup>11</sup>، وحتى "العقل لم يعد انعكاسا للعقل الأسفى، بل ظاهرة عارضة من ظواهر الطبيعة، والغرائز التي تحدد حركة التاريخ هي إما ميول جنسية أو ليبيدو (فرويد Freud) أو هي الميل إلى القوة وتأكيد الإرادة (شوبنهاور Schopenhauer، نيتشه Nietzsche، أدلر Adler)، أو الميول المنتجة، أي عوامل الإنتاج المنحدر من الميول الغذائية؛ بالمعنى الأوسع للكلمة (ماركس)"<sup>12</sup>

يرى نقاد الهوية أن النظرة التصنيفية للشعوب غير منطقية عصية على التصنيف بطبيعتها، لكونها تنزع إلى التنوع والاختلاف، وبالتالي فأى مشروع تصنيفي للبشر هو بحد ذاته عنصري، ولأن محددات القومية متغيرة بتغير الشعور إلى الانتماء فالهوية شعور زبني لا تحكمه محددات معينة، وبالتالي فإن الهوية لا أصلا لها ولا وجود، وملخص القول أن "نظرتنا هي التي تسجن الآخرين داخل انتماءاتهم الضيقة، ونظرتنا كذلك هي التي تحررهم"<sup>13</sup>، وبما أن التطور صفة لازمة للعالم فلا بد من أن التغير ملازم لهذا التطور، وأن الاختلاف لازم لا محال للتغير.

إن وهم الشعور بالانتماء هو الذي صنع كل الصراعات عبر التاريخ لأنه غذى النظرة الفوقية لشعوب على حساب شعوب أخرى، وبالتالي رسم معالم **المركزية العرقية والثقافية** وشجع على مختلف المشاريع الإمبريالية التي شهدتها العالم، ومع أنها في مرحلة ما شكلت مفاهيم معينة للهوية إلا أنها كانت في كل مرحلة تجدد ثوبها وتعريفها، وتبين "أن الهوية ليست ثابتة بل تتحول بمرور الوقت، وتحدث في السلوك البشري تغيرات عميقة وإن وجدت في كل الأوقات تراتبية معينة بين العناصر المكونة للهوية كل إنسان"<sup>14</sup>؛ ولهذا لا تكون الهوية موضوعا لعلم الاجتماع فحسب بل هي شخصية كذلك باعتباريات أخرى، والفرد لا يصبح ببساطة موضوعا لعلم الاجتماع<sup>15</sup>، ومن هنا يمكن أن نقول أن العلاقة الهوية بين الفرد والمجتمع علاقة دياكتيكية تؤثر كل واحدة في الأخرى على قدر تأثير العلاقة السلوكية بين الفرد بالمجتمع.

### الهوية والحادثة:

في تمهيد بحثه حول الحادثة وما بعد الحادثة يقول **المسيري**: "العمل الفني ليس محاكاة وإنما سحر الاستجابة الحسية المباشرة للعمل الفني التي تستعصي على التفسير، مظهرنا هو وجودنا الحقيقي والقناع هو الوجه في عالم الحادثة لا يوجد شكل مفهوم، إذ يفقد الإنسان ما يميزه كإنسان ويتساوى الرجل مع الشيء، بل تتحرر الأشياء عن الإنسان وتسيطر عليه..."<sup>16</sup>؛ فمعرفة السياق التاريخي والمعرفي للحادثة وما تحمله من أفكار كفيلا بمعرفة إنسان الحادثة ومشاريعه وطموحاته وكيفية رؤيته للعالم، فالملاحظ من كلام **المسيري** أن مجتمع الحادثة ينحى منحى أليا متجاهلا كل القيم الأخلاقية والمرجعيات الماورائية، إنه مجتمع ذو نزوع إلى ميكانيكي تفسر فيه المشاكل على أنها مشاكل في وسائل الإنتاج والعمل والتنظيم؛ "أي أن يحول إلى قضايا آليات الشغل الاجتماعي القائمة على مبدأ (البروقراطية) بمعناها الإيجابي، أي على (الضبط، والدقة، والوثيقة) واستبعاد العلاقات الشخصية، فإن استعصى على ذلك التحويل عدّ مشكلا زائفا"<sup>17</sup>، لذا أحصى **هيدغر Heidegger** خمس ظواهر مقومة للحادثة من جهة ما هي عصر ميثافيزيقي مميز، هي:

1. "العلم" الحديث من جهة ماهو في ماهيته "تمثيل" للموجود.
2. "التقنية" بوصفها "تحويلا" لماهيته العملي بعامه.
3. "نزياح الفن إلى الاستيطيقا".
4. رد القيم العليا للفعل الإنساني إلى ظواهر "ثقافية" بحيث تصبح الحضارة ضربا من السياسة الثقافية.
5. "زوال التأليه من أفق العالم"<sup>18</sup>.

مثلت الحادثة تجاوزا للعديد من القيم والأفكار وبالأخص تجاوز الذاكرة والغائثا من الواقع الحداثي، فقد كان من أهم أجزاء فلسفة **فرانسيس بيكون** دعوته إلى ترك ما أسماه **بالأوهام** ويعني بها العادات السيئة للذهن التي توقع الناس في خطأ معرفي<sup>19</sup>، وهي جملة ما نسميه بالعادات التي تضع نفسها موضع المقدس وتمنع أي محاولة للمساس بها.

ساعد في ميلاد عصر الحداثة العديد من الثورات الفكرية والمعرفية كالصدمة الكوسمولوجية التي أحدثتها ثورة كوبرنيك وترييض العالم (من الرياضيات) بمبادئ غاليلي Galilei، وكذلك الصدمة البيولوجية، والصدمة السيكلولوجية، كل هذا ساعد في تكوين وعي معرفي يعيد النظر في المقدس، "كان ذلك من غير شك على حساب القيم الروحية وعلى حساب ثروة عالم الروح الخارقة، ومع ذلك فإن هاتين الثورتين بالذات هما اللتان هتكمها الغرب، بعد أن تعرض لتعذيب الضمير التعيس، وبعد أن تحمل كل المرات التي فرضتها عليه حيل العقل"<sup>20</sup>، وبالتالي تتحقق قاعدة **Bacon** "المعرفة قوة"، المنادية بتزويد الجنس البشري بالسيطرة على قوى الطبيعة ووجوب فصل الفلسفة عن الدين<sup>21</sup>، ف"ليس أمامنا سوى طريقة واحدة بسيطة لطرح قضيتنا: هي أن نضع الناس وجها لوجه أمام الجزئيات نفسها وأمام سلسلتها ونظامها المطرد، وعليهم بدورهم أن يتخلوا برهة عن أفكارهم ويبدأوا بالتعارف مع الأشياء"<sup>22</sup>، ويضيف في موضع آخر أن "لا شيء صحيح في أفكارنا سواء في المنطق أو في الفيزياء، فلا (الجوهر) ولا (الكيف) ولا (الفعل) ولا (العاطفة) ولا (الوجود) نفسه أفكار واضحة، وأقل منها وضوح بكثير فكرة (ثقل)، خفيف، كثيف، رقيق، رطب، يابس، كون، فساد، جذب،...، وما إلى ذلك كلها أفكار وهمية وغير محددة"<sup>23</sup>، وهذا يترجم أننا إزاء فكرة تحاول التشكيك في كل ما حكم عليه سابقا بالقطعي والثابت، وهذا اتهام صريح لجل النظريات السابقة بالسطحية والتسرع ليس لأنها قصرت في فهم العالم لكن لكونها وضعت الكثير من المقولات مقام المسلمات.

اهتم **هابرماس Habermas** بتأسيس حداثة قائمة على مفهوم الذاتية لأن الحداثة تريد أن تستمد معياريتها من ذاتها، ولا يمكنها أن تستلّف ذلك من عصر آخر<sup>24</sup>، وكما سبق وقلنا فالحداثة حاولت أن تكون علمية عقلية فردية في منهجها، ركزت على ذاتيتها كما ركزت على ذاتية الفرد لأن الفرد هو الانطلاقة لتفسير المجتمع، ومنه إلى تفسير العالم، وقد رأى **كانط Kant** و**هوسرل Husserl** أن "الأنا تكوين صوري للوعي"<sup>25</sup>، وقد أوضح **سارتر Sartre** تظاهرات الأنا في كتابه "تعالى الأنا الموجود" وهو لا يخلو عن كونه أنا مادياً بحثاً ذا وجود عيني مبين لوجود الحقائق الرياضية والموجودات المحددة بالزمان والمكان، وهو موضوع حدس خاص مدرك للأنا قابع خلف الوعي المتأمل، والأنا لا يظهر إلا في وجود فعلي تأملي<sup>26</sup>، وموقف سارتر من **الكوجيتو** هو موقف المادي المحض، إذ أنه يرفض "أنا أفكر" **Cogito**، ويفضل "أنا موجود" **Ego**<sup>27</sup>؛ وهذا لا شك يرجع إلى فكرة أسبقية الوجود التي تعتبر من صلب فلسفة سارتر الوجودية.

إن الإنسان قد يتطابق مع نفسه أو ينحرف عنها، لأن الهوية على الرغم من كونها موضوعاً ميتافيزيقياً إلا أنها تبقى حالة نفسية وتجربة شعورية، وبالتالي فالإنسان من حيث كونه فرداً ينقسم إلى قسمين: **هوية** و**غيرية**، وهو يشعر بالاعتراب إذا مالت الهوية إلى غيرها أو انحرفت إليه، والاعتراب حالة وجودية لكون الوجودية لا تفرق بين النفس والبدن، وهما شيء واحد بالنسبة لبعض الوجوديين، لذا يقول **غابريال مارسيل G-Marcel**: "أنا جسي وعن طريق الجسم أتحرّك وأنتشر في العالم وأعاشر جنسياً وأصارع"<sup>28</sup>، وهي لا تزال إلى هذه المرحلة من الفكر الأوروبي فكرة مادية بحثة لا تخرج عن نطاق الوجود المادي المحدود في حيز الطبيعة.

لقد أعادت الحداثة التفكير في ماهية الإنسان، وخلصت إلى عدم خروجه عن إطار المادة، شأنه في ذلك شأن ما هو طبيعي، لقد حاولت الحداثة إخضاع الطبيعة لمراد الإنسان، ولكنها في الوقت ذاته أغرقت الإنسان حتى صار عبداً للتحديث "فحتى يكون المرء من أهل الحداثة لابد من أن يأخذ بالتحديث، وأن يعكف عليه ويفرضه، فلا يكفي للتحديث أن (يكون)، وأن تبقى هويته على حالتها الأصلية الكاملة، بل لابد أن يدخل (عالم الصيرورة) الدائمة رافضاً الأكتمال والتعريف التام"<sup>29</sup>، لأن الطبيعة تفرض منطقها المتغير ولا ترضى الثبات، وأن الحركة سواء ضمن التغير أو التطور فعل لازم واجب الحدوث.

### الهوية والعولمة:

يقول **تشرشل Churchill** في ترتيبه لنظام عالمي جديد بعد الحرب العالمية الثانية: "يجب أن تؤمن حكومة للعالم تعبر عن الأمم التي لا ترجو لنفسها شيئاً أكثر مما بحوزتها، فلو أن حكومة العالم كانت في أيدي شعوب جائعة سيكون الخطر دوماً محدقاً، وليس لدى أيّ منا واقع للسعي لشيء أكثر مما نملكه، يجب أن يتم الحفاظ على السلام، من قبل شعوب تعيش على طريقتها دون أن تكون لديها مطامع في الآخرين، إن قوتنا تضعنا فوق الجميع،

فنحن أشبه برجال أغنياء يعيشون آمنين في مساكنهم<sup>30</sup>، هكذا أراد منظرو العولمة وصانعو أسسها، أرادوها عالماً استهلاكياً يتخطى كل حدود التاريخ والجغرافيا إلى تشكيل مركزية غربية أمريكية بالدرجة الأولى على المستوى السياسي والاقتصادي والثقافي، بل وعلى مستوى السلوك والتفكير.

إن العولمة بكل ترساناتها لا تتوانى في إنشاء عالم سائل آلي فكرته الأساسية خلق الإنسان الروبوت المبرمج سلفاً وفق ما تمليه هيمنة المركزية الغربية عليه بصفة مباشرة أو غير مباشرة ليقبلها هو الآخر بوعي منه أو بغير وعي، ولعل السبب الرئيس للتبعية التي سيطرت على المغلوبين من دول العالم هي نتيجة التفوق التي حققتها الليبرالية على المستوى الفكري والإيديولوجي بعد تبين تهافت النظرية الاشتراكية الشيوعية وسقوط الاتحاد السوفياتي، ولهذا كان من الطبيعي جداً للدول المتخلفة أن تعيد النظر في واقعها وطموحاتها، والتفكير في سبل النجاة من التصادم مجدداً مع الدول الكبرى، لذا كانت الليبرالية الزاد المعين للانتقال الحكومات من ولاء السوفيات إلى ولاء الولايات المتحدة الأمريكية، وبالتالي محاكاة التجربة الغربية للخروج من حلقة التخلف، وهو ما أثار لدى الدول الكبرى رغبة في بعث نموذجها السياسي والاقتصادي والثقافي، بمعنى أن دول الغرب هي التي تصنع أفكار المجتمعات وسلوكياتها.

تسعى الولايات المتحدة الأمريكية كغيرها من الدول الغربية العظمى إلى بسط النفوذ، وهو بطبيعة الحال مطمح كل القوى الدولية، ومسألة العولمة من حيث هي بسط نفوذ "عرفها الإنسان منذ القدم، تجلت في ممارسات شتى تلتقي كلها في محاولات بسط النفوذ على الآخرين، وممارسته إرادة الهيمنة والتوسع، وهي أحوال نابعة من كون الإنسان تتصف نفسه بحب الذات، وحب التملك والسيطرة، والرغبة في الهيمنة، وهي رغبة لا تقطع ولا تعرف التوقف"<sup>31</sup>، وقد كانت الجماعات البشرية المنظمة تسعى إلى إيجاد مواقع أخرى لبسط النفوذ كلما سنحت لها الفرصة بذلك وساعدتها قوتها العسكرية والاقتصادية، ولم تكن تقتصر على المصلحة المادية فحسب بل تجاوزت ذلك إلى نشر فكرها وثقافتها<sup>32</sup>، والتأثر هي الأخرى بثقافة شعوب أخرى، فقد عرفت أوروبا في عصر النهضة مجتمعات ولغات وعادات أمة أخرى بعد ازدهار التجارة، ونال أدب الرحلات رواجاً واسعاً إلى درجة اتخاذ الرحلة موضة بين أفراد المجتمعات وصارت مساكن الأغنياء تستقبل الأثاث والخزفيات الصينية وزراي الشرق وفراء أمريكا<sup>33</sup>، وتم لأول مرة محو حدود الجغرافيا وتخطي الزمن وصار بالإمكان أن يشكل كل إنسان نموذجاً معيشياً يجمع فيه كل منتجات العالم المادية وغير المادية.

لعل الذي سبق وقلناه يضعنا في السياق الذي تنموغ فيه الهوية داخل العولمة، فقد ارتبطت العولمة منذ بدايتها بالهيمنة كما ارتبط مفهومها بعدة مفاهيم تتداخل معها، إما كوسيلة أو غاية الإمبريالية Imperialism والكولونيالية Colonialism وما بعد الكولونيالية Post colonialism، والتطور Développement، والتبعية Dependence، والغريب Westernization، والتشريع Easternization، بينما مصطلح العولمة Globalization هو أكثر اتصالاً لا توافقاً بالأمركة Americanization<sup>34</sup>، وعليه فالهوية بما تحويه من مقومات، صارت أمام تحدي العولمة، وقد وصف فتحي المسكين في (الكوجيتو المفتوح) فقال: "منذ الثمانينات في القرن العشرين تقريباً عمّ تجنيد مصطلح الهوية بشكل غير مسبوق وتحول شيئاً فشيئاً إلى بديل لغوي وأخلاقي عن اللعبة اللغوية التي كانت تؤمنها مقولة (الأمة) منذ قرن كامل ضد الاستعمار، إن معركة الهوية قد صارت تخاض ضد الغربة والأمركة الشرسة لبقية الإنسانية"<sup>35</sup>، وهنا صارت الهوية مصدر إلهام ثوري يحاول -حسب رأي مؤيديها- أن يعيد الأمور إلى مسارها الصحيح الذي كان من المفترض أن تخوضه.

كانت بداية العولمة تبشر بمستقبل زاهر في التواصل الاجتماعي والثقافي والتبادل الاقتصادي والحوار الحضاري، وكانت حقيقة كما بشرت به وساهم الاقتصاد في ترقية الأذواق، وساهمت وسائل الاتصال في مسألة التماثل وتقريب المعلومة، ولهذا يبني الجابري حكمه على العولمة بناء على ما بشرت به وما تبين لنا من ظاهر، لهذا نراه يقول: "ليست هناك ثقافة عالمية واحدة وليس من المحتمل أن توجد في يوم من الأيام وإنما وجدت وتوجد وستوجد ثقافات متعددة متنوعة تعمل كل منها بصورة تلقائية أو بتدخل إراديين أهلها على كيانها ومقوماتها الخاصة، من هذه الثقافات ما يميل إلى الانغلاق والانكماش، ومنها ما يسعى إلى الانتشار والتوسع ومنها ما يعزل حيناً وينتشر حيناً آخر"<sup>36</sup>، والجابري هنا ينظر إلى الأمر من ناحيته الكمية على أرض الواقع، وبالتالي فهو يركز على الهوية من

الناحية الفردية، فقد ذكر في المقال نفسه أن الهوية بمستوياتها الثلاثة (الهوية الفردية، الهوية الجموعية، الهوية الوطنية أو القومية) تتحدد بنوع "الأخر" وبموقعه وطموحاته، "فإن كان داخليا ويقع في دائرة الجماعة، فالهوية الفردية هي التي تفرض نفسها ك(أنا)، وإن كان يقع في دائرة الأمة فالهوية الجموعية (القبلية، الطائفية، الحزبية...) هي التي تحل محل (الأنا) الفردي، أما إن كان (الأخر) خارجا أي يقع خارج الأمة (والدولة والوطن)، فإن الهوية الوطنية أو القومية هي التي تملأ مجال (الأنا)"<sup>37</sup>، وهذا ما نوه إليه هنتغتون في حديثه حول الصدام الحضاري في تصنيف الفرد لنفسه بالنظر إلى الآخر، والآخر القريب، والآخر البعيد.

رأى الجابري أن العالم مفطور على التعدد الثقافي، وأن العولمة تغني عن هذا التعدد، وكلما كان الانتقال إلى الداخل حسب المستويات الثلاث للهوية برز ذلك التعدد الذي تظهر عليه استحالة التمرکز حول ثقافة واحدة يتحد حول مشروعاتها العالم لتكون هي الثقافة الإنسانية الجامعة تحت جناحها أفراد المعمورة، وهذه فكرة نراها إلى حد ما مثالية يراها أنصار الحوار الحضاري، ولكنها تفرض تهاونها وبطلانها إذا نظرنا إلى طبيعة العلاقة بين الأمم انطلاقا من النزعات النفسانية التي تولد بلا شك نزاعا يؤدي مع تقدمه إلى أطماع في بسط الهيمنة، وقد شهد التاريخ منذ القدم هذا الصراع مما أدى إلى استحالة اتفاق ثقافات العالم بحكم أن بعض الثقافات تتخللها النزعات النفسانية القائلة برقي العرق وأحقية في استعباد من دونه، وقد ذكر ذلك الطامعون إلى ضم الآخر والتوسع على حساب، ومنهم هورس كريلي 1859:

"ليس لدينا في الأمر حيلة يجب أن يزول هؤلاء الناس، لقد أعطى الله هذه الأرض للذين سوف يسيطرون عليها، وسوف يزرعونها ولا جدوى من مقاومة قضائهم"<sup>38</sup>.

في نظرنا أن التوسع الثقافي والانتشار الهويي يحكم أن الهويات نتيجة ثقافات مصطنعة- يؤدي إلى بناء إمبراطويات ثقافية كبرى تبديد كل الهويات والثقافات الضعيفة غير الصامدة والآيلة إلى الزوال، ثم ينقل الصراع الثقافي إلى صراع بين الإمبراطوريات الثقافية الكبرى، ولذلك تجدد كل ثقافة ترسانتها الحضارية بكل ما أوتيت من قدم متجذر وحدانية يافعة مستعملة كل قوتها التجارية التسويقية والإعلامية الإشهارية لتعرض نفسها أمام مستويات الاستقبال أمام الفرد (العقل، والذوق، واللذة)، وعلى حسب دقة الهدف يكون عمق التأثير.

لا يؤخذ حكمنا بصفة تعميمية إذا نظرنا إلى الهوية من حيث أنها هوية فردية لأن الطبيعة مبنية على الاختلاف، وإنما كان مقصودنا حول طبيعة الصراع الذي تولد به هويات مركزية من خلال الصراع الذي تصنعه الحكومات، وتروج له الدول، في حين أن الهويات والثقافات ملك للشعوب ضمن شعورهم ووجدانهم وإذا تدخلت قوى خارجية في تغييرها فإنها تحاول التغيير بحكم التعدد لا بحكم المحاكاة والتشابه لهويات أخرى، لأن صدام الثقافات قد يولد ثقافة هجينة لا تشبه هذه ولا تشبه تلك، بل هي نموذج مغاير لكلا الثقافتين الفاعلة والمفعول بها، وبالتالي فالتعدد حتمية لا مناص من وجودها، فهي محاولة لإعادة تشكيل التراث الثقافي أو طمسه "هي محاولة للقضاء على الذاتية والخصوصية والهوية وهو ما لا تقبل به الشعوب أبدا، فأكبر الحروب التي عرفتها وتعرفها البشرية: الأهلية وغير الأهلية هي حروب إثنية ودينية وايدولوجية، والعولمة ذاتها تعبر بجلاء عن محاولة مروجيها فرض هويتهم وخصوصيتهم ونموذجهم الاقتصادي والسياسي والفكري الخاص على العالم أجمع والقضاء على التعدد الثقافي والتنوع الديني والإيدولوجي، وهذا يجري على مرأى ومسمع الجميع"<sup>39</sup>. وبهذا فإن العولمة تساهم في مركزية الترويج لا الاستئصال.

ويوضح الجابري فرقا بين العالمية والعولمة ومدى خطورتها فيقول: "العالمية إناء للهوية الثقافية، أما العولمة فهي اختراق لها وتميع... كان الصراع الإيدولوجي وما يزال يستهدف تشكيل الوعي؛ تزيفه أو تصحيحه... أما الاختراق الثقافي، فهو يستهدف أول ما يستهدف السيطرة على الإدراك، اختطافه أو توجيهه، وبالتالي سلب الوعي والهيمنة على الهوية الثقافية الفردية والجماعية"<sup>40</sup>، والعولمة بهذا عالم نيتشوي يستمد مبداه من قانون "إرادة القوة"، حيث لا اعتراف إلا بها، وهي وسيلة الأقوياء والأغنياء، ومصنع لإنتاج الأفكار التي تغذي الطبقة والتبعية وتعيد الإنسان إلى مرحلة الإقطاع في ثوب الحداثي والمعصرن، وهي توجي بديرية كل ما هو مركزي لا يعترف بالآخر، يحاول صبغ نفسه بالقدسية في حين أنه يلطخ نفسه كل لحظة بدماء الأبرياء بإقرارنا بالمساواة مع الآخرين هو إقرار

بمدى تحضرنا<sup>41</sup>، فالافتتاح بكل بساطة هو القدرة المعقولة على الإقرار بإنسانيتنا المشتركة وهو التوجه الطوعي نحو الثقافات الأخرى دون فرض أو إقصاء للخصوصيات.

### أزمة الهوية العربية:

عانى المجتمع العربي منذ عهد القبلات أزمة الهوية، وعلى الرغم من شعور الأفراد بذلك بين الفينة والأخرى - من خلال الفخر بالنسب العربي والتغزل بالمرأة العربية والفرس العربية- إلا أن ذلك كان يتلاشى كلما استدعت الظروف السياسية إعلان الولاء لإحدى الممالك العظمى وهو ما يستدعي في كثير من الأحيان نشوب حروب طاحنة لعقود من الزمن لأبسط الأسباب، بمعنى ذلك -لو شئنا التفسير- أن الهوية كانت تحكمها الاعتبارات القبلية أكثر من أي اعتبارات أخرى؛ فكان من المستحيل بمكان إيجاد سبيل للتوافق الرؤيوي في ظل عالم تحكمه الامبراطوريات وتقيم عليه في الجزيرة العربية صورة القبيلة وصورة الأبوية.

لم تكن الهوية العربية تبرز إلى العلن إلا في ظل الصراع مع الآخر غير العربي، ف"العرب لما انتصرت قبيلة منهم على فرقة من الجيش الفارسي يوم ذي قار عدت ذلك فخراً عظيماً، مع أنه ليس بشيء ذي خطر، فأية فرقة لأية أمة عرضة للانهزام، ولكن العرب أحسوا بالفخر العظيم لانصرارهم، كأنهم ما كانوا يتوقعون أن تهزم حملة فارسية...، إن العرب لما انتصروا يوم ذي قار لم يتغنوا بنصرة العرب على الفرس، إنما تغنوا بنصرة القبائل التي اشتركت في الحرب، وهو الشيبانيون والعجليون واليشكريون، ولم تتجلى في الغناء روح عربية عامة"<sup>42</sup>، وحتى بعد قيام الدولة وتوسع رقعتها في العصرين الأموي والعباسي بمراحلها المختلفة لم تتفق شعوب هذه الأمة على هوية معينة إلا الدين، الذي كان يميز السمة البارزة والشبه الوحيد بين أفرادها، وعلى الرغم من قوة تأثير الدين في حياة وتفكير الشعوب إلا أنه بقيت بعض آثار القبيلة وصورها مؤثرة في الواقع الإسلامي، فقد "مضى الأمويون ينحرفون عن جادة الدين في معاملة الموالي، فهم يرهقونهم بكثرة الضرائب، وهم لا يسوون بينهم وبين العرب في الحقوق، إلا ما كان من عمر بن عبد العزيز، ولكن مدة حكمه كانت قصيرة، فلم يؤت عمله في هذا الجانب أية ثمرة"<sup>43</sup>، وظهرت حركة الشعبية المنادية بوجوب المساواة تارة، وادعاء الفوقية العرقية تارة أخرى، واشتهر شعراء كثير بهذا التوجه لا يتوانون في ذم كل ما له صلة بالعروبة.

كان للتوسع الإسلامي في العالم دور في تلاشي الهويات إلا من خلال الدين كونه أبرز خاصية مشتركة بين الشعوب المنتمية إلى الخلافة وبقيت الهوية الإسلامية بارزة كأقوى مقوم لها، ولربما كان هذا نتيجة العصبية الدينية التي سبق وأقر بمدى فاعليتها ابن خلدون في معرض حديثه عن قيام الدول والممالك.

ولم يكن مفهوم العروبة يبرز إلا من خلال وجود الآخر الأعجمي في حالة الصراع أو المقارنة بين العربي وغير العربي؛ ويفسر الجابري هذه الظاهرة فيرى أنها تستمد معناها "من رد الفعل ضد الآخر الذي كان يهدد الوجود العربي ككيان متميز داخل الإمبراطورية العثمانية، وكان هذا الآخر هم الأتراك الذين كانوا يطمحون إلى دمج القوميات الأخرى المتعايشة داخل إمبراطوريتهم، في القومية التركية الطورانية مما عرف باسم سياسة التتريك"<sup>44</sup>، والجابري هنا ينوّه إلى الدفاع الذي أبداه العربي إزاء التمرکز حول التركي الذي لم يكتف باستيلاط السلطة بل تعدى ذلك إلى اتخاذ بسط النفوذ على المجتمع العربي ومحاولة ترسيم هوية جديدة لا تتماشى مع طبيعة العربي وهو ما استدعى من الإنسان العربي يقف موقف الدفاع.

لا يتوقف الأمر إلى هنا بل إن الفكر العربي المعاصر يقف عاجزاً عن ضبط الهوية بل ونراه يترنح بين قابل لمفهوم الهوية- كما نلاحظه عند التيار المحافظ المتجلي في الإسلاميين بالخصوص- وبين رافض للهوية من أصلها، كما هو حال العلمانيين العرب المنادين بفصل الدين عن السياسة ووجوب كون الحاكم منزهاً عن الخوض في مثل هذه القضايا ويجب أن يقف إزاء هذه المسائل موقف الجهادي لضمان الحقوق.

أمر آخر يشكل معضلة في الفكر العربي المعاصر وهو تعدد المرجعيات، ومن الخطأ الاكتفاء بالتمييز بين مرجعية تراثية عربية إسلامية، ومرجعيات أوروبية عصرية "ذلك لأنه بالإضافة إلى هتين المرجعتين كلاتهما على التعدد (مرجعية الفكر الشيوعي تختلف عن مرجعية الفكر السني، مثلما أن مرجعية الفكر الفرنسي تختلف عن مرجعية الفكر الأنجلوسكسوني)، فإن هناك مرجعية ثالثة، هي مزيج بين مرجعتين، التراثية والأوربية، وهي الهوية

التي أصبح يشكلها ما نسميه اليوم بعصر النهضة العربية الحديثة<sup>45</sup>، ولعل أقرب وصف لهذا التمازج هو ما أسماه **هومي باباالهجنة**، إذ أنه يكاد من المستحيل أحيانا أن نحكم على هوية ما بالصفاء، فبحكم العالم العربي قد شكّل مزيجاً بين أقوام متعددة ولغات متعددة ونسج عن كل هذا ثقافات ممزجة فمن العسير أن يكون التغير -الذي هو من صلب الطبيعة البشرية- بسيطاً في عالم عولمي لا يرضى بالبقاء على حالة.

إن مقوم الهوية كما سبق وقلنا لا يظهر إلا في حالة الصدام، فظهور المقوم الإسلامي كان بلاشك مصاحباً لظهور طرف ديني يبني الصراع، "وبما أن أوروبا الإستعمارية هذه كانت في نفس الوقت أوروبا المسيحية، الشيء الذي يعني بالنسبة للمسلمين أنها صليبية تجر معها حروبها الصليبية ضد المراكز الإسلامية في فلسطين خاصة، فلقد كان طبعياً أن يكون رد الفعل ضدها من مسلمي المنطقة العربية، وهم الأغلبية العظمى، مفعماً هذه المرة بمضمون إسلامي"<sup>46</sup>، ولكن أحيانا نرى مقومي الإسلام والعروبة يوحيان إلى ذات الشيء، وهذا نتاج كون السكان المغاربة بالخصوص لا تحكمهم تعددية على صعيد الدين، فجميع السكان مسلمون على مذهب مالك من أهل السنة والجماعة<sup>47</sup>، ولكن مع تغير الأوضاع ومع بروز النزعة العربية من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب ظهرت النزعة الأمازيغية كرد اعتبار للتاريخ المسلوب من شمال إفريقيا، وتجاوز للظروف الدولية بحكم الصراع القائم في الدول العربية صار التحول إلى القومية الأمازيغية وإبراز هذا المقوم ولو نسبياً سبيلاً إلى لم شمل شمال إفريقيا وبرهنة للعالم الذي تحكمه الاعتبارات الحضارية على مدى عمق المقوم الأمازيغي في التاريخ على المستوى السياسي والثقافي والحضاري.

إذا نظرنا إلى الواقع الغربي وخاصة المجتمعات الهجينة منها والحديثة، نجد أن مفهوم الهوية مفهوم مسكوت عنه نسبياً؛ فبعد الصراع الكاثوليكي-البروتستانتي ودخول أوروبا في دوامة صراع طائفي، كانت العلمانية حلاً لفض ذلك الصراع ولذا جاء الأوروبي بفكرة فصل الدين عن الدولة، وبالخصوص ما اصطلح عليه بالعقد الاجتماعي، وبهذا نجد أن المجتمع الأوروبي انتقل من العرقية إلى الطائفية إلى ما نسميه الآن في الدولة المدنية بالمواطنة، إذ أن الإنسان الأوروبي لا يعترف نفسه بطائفة أو قبيلة، ولكن كمواطن في إطار ما رسم له من حقوق وواجبات وبالتالي يكون التعايش بين الأفراد على أساس ما ينص عليه القانون.

-خاتمة:

من البين أن الصراع الفكري في مفهومية الهوية وصناعة تطبيقاته على الواقع التاريخي للمجتمعات -بل وصناعة هويات مغايرة بهدف خلق سيروية اجتماعية توائم أهداف بعض الأفكار- يوضح لنا أن مفهوم الهوية مفهوم زبتي غير مستقر على أرضية فكرية واحدة ترسم له حدوداً تجمع العقول، وصولاً إلى قابلية الشعوب والمجتمعات في عصر العولمة لتبني هويات متعددة عند البعض أو الغائتها تماماً عند آخرين، فالهيمنة التي استهدفت الهوية كمصطلح وهويات الشعوب كأساس واقعي والتي تتمثل في هيمنة الثقافة، تلك الأفكار الجديدة التي تحاول الفصل بين الذات والآخر داخل مجتمع واحد في سبيل صناعة هوية تتمثل في إلغاء الهوية إن صح التعبير.

إن تعدد المقومات الهوية العربية مبنية على أساس الصراع وتتماشى طردياً معه؛ حيث إنه كلما احتدم هذا الصراع على نقطة ما حاولت لتشكّل من نفسها مقوماً ضمن المقومات التي تشد أزر المجتمع، وبما أن التاريخ العربي تاريخ مليء بالصراعات الدينية واللغوية -بحكم طبيعة الآخر- كان الدين واللغة العربية أهم مقومين وقفا في وجه الزمن وما يتخلله من طوارئ.

إن المجتمعات الغربية حاولت -على الأقل في مرحلة التنوير والنهضة- وبطريقة ما إبعاد كل ما يتعلق بفكرة الهوية لكونها نقطة ضعف أسست للصراع القبلي والطائفي ولهذا كرست الحداثة كل طاقتها لتكون بديلاً لإيديولوجيا يحاول إعادة ترتيب أوراق الإنسان الأوروبي فتنتقله من الانتماء الطائفي والقبلي إلى الانتماء إلى الوطن (المواطنة).

- قائمة الإحالات:

- 1- الجرجاني علي بن محمد السيد الشريف، معجم التعريفات، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، تحقيق: محمد الصديق المنشاوي، 2004، ص 216.
- 2- المصدر نفسه، ص 216.
- 3- أمين معلوف، الهويات الفاتلة، ترجمة: نهلة يوضون، دار الفارابي، بيروت، ط: 03، 2015، ص 23-24.
- 4- المرجع نفسه، ص 20.

- 5- يوهان فيخته، خطابات إلى الأمة الألمانية، ترجمة: سامي الجندي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط: 01، أكتوبر 1979، ص 79.
- 6- محمد عابد الجابري، مسألة الهوية: العروبة والإسلام والغرب، مركز الوحدة العربية، بيروت، ط: 04، سبتمبر 2012، ص 16-17.
- 7- مصطفى طيبة، هل انهار المشروع القومي الناصري: رؤية جديدة للناصرية، الطاسيلي للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1989، ص 14.
- 8- ينظر: الجابري، مسألة الهوية، ص 40.
- 9- داريوش شايفان، أوهام الهوية، ترجمة: محمد علي مقلد، دار الساقى، بيروت، ط: 01، 1993، ص 16.
- 10- أمين معلوف، الهويات القاتلة، ص 19.
- 11- ينظر: وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط: 01، 2010، ص 44.
- 12- داريوش شايفان، أوهام الهوية، ص 12.
- 13- أمين معلوف، الهويات القاتلة، ص 34.
- 14- المرجع نفسه، ص 24.
- 15- كلود دوبار، أزمة الهويات: تفسير تحول، ترجمة: رندة بعث، المكتبة الشرقية، بيروت، ط: 01، 2008، ص 27.
- 16- عبد الوهاب المسيري، فتحي التركي، الحدائق وما بعد الحدائق، دار الفكر، دمشق، ط: 01، تموز (يوليو) 2003، ص 13.
- 17- محمد الشيخ، مامعنا نكون المرء حديثاً، منشور اتالزمن، الرباط، دط، 2006، ص 39.
- 18- فتحيا المسكين، الفيلسوف والإمبراطورية: فيتونير الإنسان الأخير، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط: 01، 2005، ص 16-17.
- 19- للتوسع ينظر: بيرتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة: محمد فتحيا لشنيطي، مطابع الهميمة المصرية العامة للكتاب، دط، 1977، ج 3، ص 83-84.
- 20- داريوش شايفان، أوهام الهوية، ص 62.
- 21- ينظر: بيرتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، ج 3، ص 81.
- 22- فرانسيس بيكون، الأورجانون الجديد: إرشاد تصادق في تفسير الطبيعة، ترجمة: عادل مصطفى، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط: 01، 2013، ص 27.
- 23- المصدر نفسه، ص 20.
- 24- ينظر: فتحيا المسكين، الفيلسوف والإمبراطورية، ص 13.
- 25- جان بول سارتر، تعالينا أن نوجد، ترجمة: حسني، دار التنوير للنشر والتوزيع، بيروت، ط: 01، 2005، ص 67.
- 26- ينظر: جان بول سارتر، تعالينا أن نوجد، ص 66-67.
- 27- ينظر: حسني، الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط: 01، 2012، ص 13.
- 28- المرجع نفسه، ص 11-13.
- 29- زيجمونتي باومان، الحدائق السائلة، ترجمة: حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط: 01، 2016، ص 26.
- 30- نعمت شومسكي، النظام العالمي الجديد والقديم، ترجمة: عاطف محمد عبد الحميد، دار نهضة مصر، ط: 01، مارس 2007، ص 10.
- 31- الجيلالي بوكري، العولمة: العقيدة وفلسفة النهايات، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، د ط، 2011، ص 08.
- 32- ينظر: المرجع نفسه، ص 07.
- 33- ينظر: جان بيير غارني، عولمة الثقافة وأسئلة الديمقراطية، ترجمة: عبد الجليل الإزدي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط: 01، يناير 2003، ص 40.
- 34- ينظر: جورج ريتزر، العولمة: نص أساس، ترجمة: السيد أمام، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط: 01، 2015، ص 153.
- 35- فتحي المسكين، الكوجيتو المجروح: أسئلة الهوية في الفلسفة المعاصرة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط: 01، 2013، ص 233.
- 36- مجموعة مؤلفين، العرب والعولمة: بحوث ومناقشات، الندوة الفكرية التي نظمتها مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط: 01، حزيران-يونيو 1998، ص 298.
- 37- المرجع نفسه، ص 299.
- 38- محمد البغدادي، الإمبراطورية الأمريكية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط: 01، 2005، ص 07.
- 39- جيلالي بوكري، العولمة: العقيدة وفلسفة النهايات، ص 13-14.
- 40- مجموعة مؤلفين، العرب والعولمة، ص 301.
- 41- ينظر: تزيان تودوروف، الخوف من البرابرة: ما وراء صدام الحضارات، ترجمة: حسان ماجد جبور، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث: كلمة، أبو ظبي، ط: 01، 2009، ص 28.
- 42- أحمد أمين، ضحي الإسلام، دار الأصاله، الجزائر، ط: 01، 2010، ج 1، ص 27.
- 43- شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، دار المعارف، مصر، ط: 06، دت، 74.
- 44- محمد عابد الجابري، مسألة الهوية، ص 39.
- 45- المرجع نفسه، ص 36-37.
- 46- المرجع نفسه، ص 40-41.

47- ينظر: المرجع نفسه، 42.

#### - قائمة المصادر والمراجع:

1. أمين، أحمد، **ضحى الإسلام**، دار الأصاله، الجزائر، ط: 01، 2010، ج 01.
2. باومن، ياجموت، **الحداثة السائلة**، ترجمة: حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط: 01، 2016.
3. البغدادي، محمد، **الإمبراطورية الأمريكية**، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط: 01، 2005.
4. بوكري، الجيلالي، **العولمة: العقيدة وفلسفة النهايات**، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، د ط، 2011.
5. بيكون، فرانسيس، **الأورجانون الجديد: إرشادات صادقة في تفسير الطبيعة**، ترجمة: عادل مصطفى، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط: 01، 2013.
6. تشومسكي، نعوم، **النظام العالمي الجديد والقديم**، ترجمة: عاطف معتمد عبد الحميد، دار نهضة مصر، ط: 01، مارس 2007.
7. تودوروف، تزفيتان، **الخوف من البرابرة: ما وراء صدام الحضارات**، ترجمة: حسان ماجد جبور، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث: كلمة، أبو ظبي، ط: 01، 2009.
8. الجابري، محمد عابد، **مسألة الهوية: العروبة والإسلام والغرب**، مركز الوحدة العربية، بيروت، ط: 04، سبتمبر 2012.
9. الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف، **معجم التعريفات**، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، تحقيق: محمد الصديق المنشاوي، 2004.
10. حسن حنفي، **الهوية**، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط: 01، 2012.
11. دوبار، كلود، **أزمة الهويات: تفسير تحول**، ترجمة: رندة بعث، المكتبة الشرقية، بيروت، ط: 01، 2008.
12. راسل، بيرتراند، **تاريخ الفلسفة الغربية**، ترجمة: محمد فتحي الشنيطي، مطابع الهممنة المصرية العامة للكتاب، د ط، 1977، ج 03.
13. رايت، وليم كلي، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط: 01، 2010.
14. ريتزر، جورج، **العولمة: نص أساس**، ترجمة: السيد أمام، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط: 01، 2015.
15. سارتر، جان بول، **تعالى الأنا موجود**، ترجمة: حسن حنفي، دار التنوير للنشر والتوزيع، بيروت، ط: 01، 2005.
16. شايفان، داريوش، **أوهام الهوية**، ترجمة: محمد علي مقلد، دار الساقى، بيروت، ط: 01، 1993.
17. الشيخ، محمد، **ما معنى أن يكون المرء حداثياً**، منشورات الزمن، الرباط، د ط، 2006.
18. ضيف، شوفي، **العصر العباسي الأول**، دار المعارف، مصر، ط: 06، د ت.
19. طيبة، مصطفى، **هل انهار المشروع القومي الناصري: رؤية جديدة للناصرية**، الطاسيلي للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1989.
20. غارني، جان بيير، **عولمة الثقافة وأسئلة الديمقراطية**، ترجمة: عبد الجليل الإزدي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط: 01، يناير 2003.
21. فيخته، يوهان، **خطابات إلى الأمة الألمانية**، ترجمة: سامي الجندي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط: 01، أكتوبر 1979.
22. مجموعة مؤلفين، **العرب والعولمة: بحوث ومناقشات**، الندوة الفكرية التي نظمتها مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط: 01، حزيران-يونيو 1998.
23. المسكيني، فتحي، **الفيلسوف والإمبراطورية: في تنوير الإنسان الأخير**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط: 01، 2005.
24. المسكيني، فتحي، **الكوجيتو المجروح: أسئلة الهوية في الفلسفة المعاصرة**، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط: 01، 2013.
25. المسيري، عبد الوهاب، **فتحي التريكي، الحداثة وما بعد الحداثة**، دار الفكر، دمشق، ط: 01، تموز (يوليو) 2003.
26. معلوف، أمين، **الهويات القاتلة**، ترجمة: نهلة بيضون، دار الفارابي، بيروت، ط: 03، 2015.